

أنا وأنت على الطريق

"السراويل هي سبب مشكلات العالم"

تحت عنوان "السراويل أي البنطال هو سبب مشكلات العالم" وصف الملك مسواتي عاهل سوازيلاند النساء اللاتي يرتدين السراويل بأنهن سبب مشكلات العالم. لم يصفهم بذلك فحسب يا سيدتي، بل أدان في خطبة دينية في الإذاعة الرسمية حقوق الإنسان بوصفها شيئاً بغيضاً عند الله. وقالت صحيفة Times of Swaziland تايمز أوف سوازيلاند إن الملك مسواتي انتقد أيضاً في كلمته حركة حقوق الإنسان . وقال: أي حقوق؟ الله خلق الناس وأعطاهم أدوارهم في المجتمع لا يمكن أن تغيروا ما خلقه الله . هذا شيء بغيض عند الله.

ولم تتأثر النساء في شوارع العاصمة امبابان بما قاله الملك. وقالت ثوبسيلي دلامني : الملك يقول إنني أنا سبب مشكلات العالم بسبب ردائي. ولا يهم الإرهاب والفساد الحكومي والمرض. إني أنا وسروالي أرفض هذا.

ويقول المقرر الذي كتب الخبر في الصحيفة إن مسواتي هو آخر ملوك أفريقيا المطلّقين وهو متزوج حالياً من تسع نساء وعلى وشك أن يتزوج من العاشرة واختار خطيبة إضافية بعد مراجعة مشاهد بالفيديو.

ما رأيك يا سيدتي في هذه الخطبة الدينية التي ألقاها أحد ملوك أفريقيا؟ وهل تجدين في كلامه ما يمت إلى الواقع والحياة الحاضرة بصلة؟

ذكرني كلامه بغابر الأزمان حين كان يُنظر إلى المرأة بأنها عار، فنقوم القبائل آنذاك بوأدهن تحت التراب وهنّ أحياء. وحمل الكثير من الناس هذه الأفكار منذ ذلك الحين وحتى الآن ، وبقوا يفكرون أن المرأة عار وعورة وليست هي إلا للمتعة والإنجاب. لذا هاجم ملك سوازيلاند حركة حقوق الإنسان لا بل استغرب وجودها وعملها. وطلب من الناس أن يعودوا إلى تنميم ما قصده الله منذ البدء عندما خلق الإنسان.

وهنا لا يسعني إلا أن أقول يا سيدتي أنه لو عاد الإنسان إلى ما سجله لنا الوحي المقدس في كتابه الثمين ، لوجد أن الله لا يفرّق أو يميّز قط بين بني البشر. فنظرته للجميع سواء.

إن الذي خلق الفروقات في مجتمع الإنسان وجعل التمييز واضحا بين شقي الخليقة الرجل والمرأة هو الإنسان وليس الله سبحانه وتعالى. والرجل هو الذي نصّب نفسه في درجة أعلى وأسمى وأرقى من شريكة حياته وشقه الآخر الذي يشاطر معه الحياة في حلوها ومرها. وهكذا انتقلت هذه الأفكار الذكورية منذ ذلك الحين وحتى الآن إلى المجتمعات والأجيال المتعاقبة. وللأسف فإن الكثير من الآباء في بلادنا العربية لا يزال يعيش تحت وطأة وتأثير هذه الأفكار حتى عصرنا هذا. وكما اعتقد في الماضي أن المرأة هي أصل البلاء إذ أغوت أبانا آدم حتى وقع كلاهما في خطية العصيان على الله، هكذا نحن الآن ، نسمع تصرّيا وراء آخر يتهم فيه الرجل المرأة التي تطالب بحقوقها وتلبس السروال أي البنطال بأنها وراء كل المشاكل في العالم كما صرح أحد ملوك أفريقيا في خطبته لشعبه.

أتعلمين يا سيدتي أن المجتمع الشرقي الذكوري لا يزال حتى الآن يعلم بأن المرأة فتنة؟ وأنه لا يجوز التواجد معها في مكان عام لأنها مصدر الشهوة؟ وأنه يحق للرجل هجرها وضربها؟ وأن المرأة ناقصة عقلا ودينا .

فماذا يتوقع من الجيل الصاعد حين يستمع إلى هكذا تعاليم منذ نعومة أظفاره؟ ماذا يتوقع من شباب المستقبل إذا ما شبّوا على هذه التعاليم في شأن المرأة والحط من قيمتها ودورها وصوتها الذي يعتبر عورة ينبغي أن لا يُسمع؟

نعم يا سيدتي لذلك يُربى الطفل الذكر ومنذ صغره بأن لا يمس الطفلة التي يلعب معها. فينشأ فيما بعد في تركيبة معقدة ما يلبث أن يعاني منها عندما يكبر. وهكذا يصبح دور المرأة مهمّشا مشلولاً . وتصبح حضارتنا ناقصة لأنها تفتقد إلى دور الشق الآخر من الخليقة دور المرأة الهام في المجتمع. ونعود لنسأل هل حقا هذا ما يريده الله سبحانه وتعالى من مجتمع الإنسان؟ أن تهتمّش المرأة وتوضع جانبا وكأنها سلعة تملك لتأدية غرض معين ليس إلا؟

بالطبع كلا، يا سيدتي. ليس هذا هو الحق الذي أراده الله من البدء. وأنت أيها الشاب الذي تعلمت ونشأت على هذا ، تستطيع أن تعود معي إلى الكتاب المقدس الذي نجد فيه تعليم الله واضحا وصريحا في هذا الشأن فنسمعه يقول في سفر التكوين أي التأسيس هذه الكلمات في شأن شقي الخليقة حين خلقهما ما يلي:

"وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وطيير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم."

نعم يا سيدتي لم يخلق الله آدم على صورته كشبهه بل حواء أيضا. هكذا اقتضت حكمته تعالى أن يخلق الاثنين الرجل والمرأة على صورته وأن يمنحهما كليهما نفس القدر من الكرامة . فالأنثى لها شبه صورة الخالق كما هو الذكر أيضا. فإله لم يضع باعتباره

الفرق الجنسي والوظيفي لكليهما ، بل أعطاهما قدرا متساويا من المجد. المجد الذي مع الأسف لم يحافظا عليه فيما بعد بل أضاعاه بسبب عصيانهما كليهما.

إذن أنت مخلوقة على صورة الله يا سيدتي ولك منح الله الخالق مجدَ كونك على صورته هو ومثاله هو. أي منحك العقل المبدع وليس الناقص، كما يقولون. ومنحك العواطف والأحاسيس والقوة الخلاقة. وهكذا ميّز الله الإنسان عن مخلوقاته الأخرى إذ منحها روحا خالدة هي قبس من روحه تعالى. وعليه يكون الإنسان كل إنسان لا فرق بين رجل وامرأة مخلوقا على صورة الله وشبهه. فما أعظمه من امتياز يا سيدتي. فإن كان الله منحك إياه فبأي حق يسلبه البشر منك؟ ويجعلوك ناقصة عقلا ودينا ويعاملونك على أنك الفتنة بالذات؟

أتعلمين يا سيدتي أنه حتى وبعد أن عصى الإنسان بشقيه الله تعالى، وأكل من الشجرة التي أوصاهما الله أن لا يأكلا منها، لم يترك الله الإنسان وشأنه؟ أجل لأنه يحب الإنسان محبة أبدية أي لا تنتهي وغير مشروطة. يحبه محبة كاملة لهذا أرسل له الفادي يسوع المسيح لكي يرده عن عصيانه ويعود به إلى عمق الشركة الحية معه تعالى. وهكذا أتى الفادي يسوع المسيح مولودا من امرأة من دون زرع بشري ، وأخذ طبيعة البشر ومات عن البشر . لكنه قام ليمنح كل من يعود إليه ويتوب عن خطاياها الحياة الجديدة والغفران الإلهي الكامل. وليس هذا فحسب بل جاء ليبرد اعتبار الإنسان ولينشله من الحضيض الذي هو فيه في بعده عن الله. وليرد له المجد الذي أضاعه بسبب خطاياها وعصيانه. فهل هناك أقوى وأعظم من هذه المحبة؟

تعالى إلى الله عن طريق الفادي يسوع المسيح عيسى بن مريم الذي وحده فتح لك الطريق للوصول إلى الله . ألم يقل عن نفسه أنا هو الطريق والحق والحياة؟ تعالى إليه يا سيدتي فتجدي الراحة والسلام الحقيقيين وهو الوحيد الذي يمكن أن يرد لك اعتبارك.
